www.SID.ir

تطور القصة القصيرة فی سوريا منذ الثلاثينات حتی أواسط الأربعينات

فاطمة خليلی*

الملخص

إن القصة القصيرة من الأجناس الأدبية التی اتخذت مكانة سامية فی نفوس الناس و هم يقبلون علی القصص القصيرة فی هذه السنوات لأن القصص القصيرة تلائم روح العصر و الزمان بسبب انشغالهم. و البحث حول هذا الجنس الأدبی من المهام التی يجب أن تدرس علی أساس أهميتها.

ترمی هذه المقالة دراسة القصة القصيرة و كيفية تطورها فی سوريا من سنة ١٩٣١ الی سنة ١٩٤٧الميلادی و هذه السنوات هی بداية القصة القصيرة فی سوريا وكذلک ترمی دراسة تجارب و مجموعات عدد من القاصين المعروفين كعلی خلقی،و محمد النجار،و مظفر سلطان، و ليان ديرانی و غيرهم من القاصين، كما تلقی الضوء علی نشأة القصة السورية و تاريخ سوريا و الحركة الأدبية فيها و سمات هذه المرحلة و أحوال القصة و همومها الذاتية و الإجتماعية فی هذه الفترة.

الكلمات الدليلية: الأدب، القصة، القصة القصيرة، سوريا.

*. خريجة جامعة آزاد الاسلامية فرع علوم و تحقيقات طهران (دانش آموخته دانشگاه آزاد اسلامی واحد علوم و تحقيقات تهران)

تاريخ الوصول: ١٣٨٨/٢/٢٣ هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٨٨/٤/١٠ هـ. ش

www.SID.ir

www.SID.ir

المقدمة

القصة القصيرة كما يعرفها إدجار آلن بو، «عمل روائی نثری يستدعی لقراءته المستأنية نصف ساعة أو ساعتين...» و هذا ما حدده أيضاً هـ.ج. ويلز بأنها «قطعة و صورة قصيرة يمكن قراءتها فی نصف ساعة.» (النساج، ۱۹۷۷م: ۱۲؛ جواهر كلام، ۱۳۷۲هـ. ش: ۱۶)

فإنه فی الاستخدام الأدبی الشائع غالبا ما يشير مصطلح القصة القصيرة إلی ذلک النوع من القص الذی ظهر فی القرن التاسع عشر و فی القرن العشرين بشكل محدد. (مير صادقی، ۱۳۶۶هـ. ش: ۲۰۷؛ عبدالمعطی،۱۹۹۴م: ۲۰ـ۲۱؛ عبدالحميد،۲۰۰۱م: ۱۷)

تعد القصة القصيرة وثيقة الصلة بالشعر و المسرح (الدراما) ولكنها متميزة عنهما، و من ثم يمكن تعريف القصة القصيرة بأنها «قص مختصر فی شكل نثری»، إذن القصة القصيرة فن سردی حكائی يخبرنا بقصة، و عند هذه النقطة هناک اتفاق عام، أما الاختلاف فيحدث فيما يتعلق بما تتكون منه هذه القصة. (عبدالمعطی، ۱۹۹۴م: ۲۲؛ عبدالحميد، ۲۰۰۱م: ۱۸)

الحركة الأدبية فی سوريا

قد كان الفكر، فی بداية القرن التاسع عشر، يغطّ فی سبات عميق كان ينوء تحت كلكل كابوس ثقيل من جهالات عصور الانحطاط، و كان يئنّ من وطأة تلک الأنظمة الرجعية التی كانت تفرضها الدولة العثمانية علی البلاد العربية ثم من تخلّف الشرق عن ركب الحضارة الأوربية. (الكيالی، لاتا: ۹)

و ظلّت البلاد تقاسی عنت الروح الديكتاتورية الفردية التی شملت كافة مرافق الحياة إلی أن ثار المفكرون علی هذه الأوضاع و طالبوا بالإصلاحات فكان بصيص للحياة الدستورية بإعلان المشروطية الأولی سنة ۱۸۷۶. (المصدر نفسه:۱۰)

و ارتقب الناس أن يروا تغيراً فی نهج الحكم و أن تشعّ بوادر الإصلاح، ولكن شيئاً من هذا لم يتغير أی ظل الحكم المطلق الذی يرتكز علی العنف و الاستبداد و الجهالات هو السائد إلی أن أعلنت المشروطية الثانية و يراد بها النظام الدستوری سنة ۱۹۰۸. (المصدر نفسه:۱۰)

www.SID.ir

www.SID.ir

و بدهی، و قد مرّت بلاد الشام بهذه الحياة القلقة المظلمة المضطربة، أن تخضع الحياة الفكرية إلى هذه الألوان القاتمة من سياسة الدولة. أو من نظامها الأوتوقراطی العتيق الذی تتمثّل فيه كل مظاهر عهد الانحطاط. (المصدر نفسه:۱۰)

فلم تعرف بلاد الشام فی تلک الفترة، حياة علمية، فلامدارس، ولا معاهد، ولا جامعات، ولا موسسات علمية، ولا شئ سوی المدارس الدينية التی كانت تعنی عناية واسعة بالدراسة التی تتصل بجوهر الدين مباشرة بالفقه و التفسير و اللغة و علوم البيان، ثم الكتاتيب و الدراسة فيها لاتتعدّی مبادئ القراءة و الكتابة و أوليات الحساب. (المصدر نفسه:۱۱)

وظلّت الحالة هكذا، إلى أن تولی مدحت باشا بطل الدستور ولاية سوريا فكان أول من أنشأ فيها المدارس المدنية.و كانت البعوث الأجنبية قد افتتحت بعض المدارس الخاصة التی اجتذبت إلى رحابها أبناء الأسر المسيحية، و كانت تعنی بتدريس اللغة الفرنسية و الإيطالية إلى عنايتها باللغة العربية فی حين كان التعليم فی المدارس الأميرية يلقن باللغة التركية. (راجع المصدر نفسه:۱۱)

و من هنا وجدت اللغة العربية موئلاً لها فی المدارس الأجنبية و المدارس المسيحية الطائفية، فانتشر تعليم الأدب العربی بين المسيحيين أكثر من انتشاره بين المسلمين. (المصدر نفسه:۱۱)

و حين نقرأ الأدب الذی تركه أدباء العصر المنصرم نقرأ ألواناً من أدب ضعيف، مهلهل، يتسم بالمحاكاة و التقليد لايخرج فی مضمونه عن المدح و الرثاء و التهانی و الغزل المذكر، و لا شئ غير هذه الألوان، و هو فی صياغته ذو ارتباط وثيق بأدب عصر الانحطاط الأدب الذی تقوم مادته على السجع و الجناس وما إلى ذلک من تلک التزاويق اللفظية التی يمجّها ذوقنا الأدبی. (المصدر نفسه:۱۲)

فحين تأسست المدارس المدنية فی سوريا كان التدريس فيها باللغة التركية، حتی اللغة العربية كان يدرسها أساتذه أتراک ليست لهم السليقة العربية. (المصدر نفسه:۱۲)

فنشأ الجيل القديم و أكثره يحذق اللغة التركية أكثر من معرفته لغة آبائه و أجداده،

www.SID.ir

www.SID.ir

و وجد الكثيرون من أبناء العرب ممن ينظم الشعر التركى، و يؤلف الكتب باللغة التركية، و ينمق رسائل ديوانية لا تقل بقيمتها البيانية عما يكتبه أدباء الترک أنفسهم. (المصدر نفسه: ١٣)

على أن النسمات التى هبّت من أوربا و من مصر التى سبقت سائر الأقطار العربية فى التخلص من السيطرة العثمانية أثارت فى نفس غير واحد من رجالات الفكر نزعة الروح القومية. (المصدر نفسه: ١٣)

كان الأدب فى تلک الفترة التى سبقت الحرب العالمية الكبرى يسير متئد الخطى و كان الكتّاب يعبّرون عن أحاسيسهم القومية بأساليب لم تصقلها الديباجة العربية، و كان الشعراء أيضاً يحاولون نفس هذه المحاولات و كان الحكم العثمانى ما يزال، أى كانت اللغة التركية هى التى ترسم خطوط الثقافة العامة، فكان النشء السورى يتلقى دروسه بلغة جنكيزخان. و كان القارئ العربى يوسّع نطاق ثقافته من الكتب التركية و يغذّى نهمه السياسى من الصحافة التركية و كان الطلاب يتجهون إلى إستانبول لإتمام دراساتهم فى جامعاتها و قليلون هم الذين يتجهون إلى جامعات الغرب. (المصدر نفسه: ١٤)

و ظل الأمر كذلک إلى نهاية الحرب العالمية الأولى(١٩١٨) حيث جلا الأتراک عن البلاد العربية، و أسست فى سوريا حكومة عربية برياسة الملک فيصل ابن الحسين. (المصدر نفسه:١٤)

و كان على الحكومة أن تعنى أول ما تعنى بتعريب كل شئ فى الدولة و لاسيما بعد أن أعلنت أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية للبلاد فكانت محاولات جدّ صعبة، و لاسيما عند طبقة الموظفين الذين عاشوا شطراً من حياتهم يصرّفون شئون الدولة و مصالح الناس فى الإدارة و فى القضاء باللغة التركية. (المصدر نفسه:١٤)

وانبرى كبار الأدباء و رجال الفكر ممن أشرب قلبهم حب العربية إلى مزاولة مهمة تعريب الكتب المدرسية المقررة بعد أن أضحت لغة التعليم فى جميع المدارس هى اللغة العربية. (المصدر نفسه:١٤ـ١٥)

www.SID.ir

www.SID.ir

و محمد کردعلی عمل علی تأسیس «المجمع العلمی العربی»[1] فکان أعظم دعامة لنشر اللغة العربیة فی تلک الفترة حیث قام کالحارس الأمین لتقویم الألسنة و تصحیح أغلاط الکتاب و إمداد الدواوین بالاصطلاحات. (المصدر نفسه: ۱۵)

کان تأسیس «المجمع العلمی العربی» ظاهرة حیة فی تاریخ الفکر العربی فی سوریا. و کان اسم محمد کردعلی کصحفی و مؤلف و باحث قد تعدّت شهرته بلاد الشام إلی جمیع الأقطار العربیة و إلی دوائر المسستشرقین فی الغرب، فأخذ علی عاتقه أن یجعل من هذا المجمع بیئة علمیة مهمتها صون اللغة العربیة و نشر آدابها و إحیاء مخطوطاتها و تعریب ما ینقصها من کتب العلوم و الصناعات و الفنون عن اللغات الأوربیة و تألیف ما تحتاج إلیه من الکتب المختلفة الموضوعات علی نمط جدید. (المصدر نفسه:۱۵-۱۶)

وهکذا، قد کان للمجمع العلمی العربی فی أول تکوّنه، و هو ثمرة الحکومة العربیة، أثره الکبیر فی بعث النشاط الفکری، و فی تقویم اعوجاج الألسنة، و تصحیح لغة الکتّاب، إلی إشاعة العربیة فی مختلف الأوساط و الحفاظ علی قدسیتها من کل طارئ دخیل. (المصدر نفسه:۱۶ـ۱۷)

ثمة ظاهرة لاتقل أهمیة عن تأسیس المجمع العلمی و هی «الجامعة السوریة» فقد بدأت عملها بدایة متواضعة ینقصها الکثیر من المعدّات التی یفتقر إلیها تکوین الجامعات. ففی سنة ۱۹۲۳ أسست «الجامعة السوریة» مؤلفة من «المجمع العربی» و من مدرستی الطب و الحقوق لتکوین جامعة عربیة للشام بالمعنی الجامعی الذی یفهمه العلماء. (المصدر نفسه:۱۷)

و بدأت عملها و بدأت تتعثر فی سیرها و کان التدریس فی الکلیتین باللغة العربیة،

۱. کان المجمع العلمی العربی یعرف لأول مرة بالشعبة الأولی للترجمة و التألیف التی أسست علی أثر تألیف الحکومة العربیة فی اواخر خریف سنة ۱۹۱۸، ثم جعلت هذه الشعبة «دیوان المعارف» و عین الأستاذ محمد کردعلی رئیساً لها فی ۱۲ شباط ۱۹۱۹ موکولا إلیها النظر فی أمور المعارف و التألیف و تاسیس «دار الآثار» و العنایة بالمکتبات ولاسیما «دار الکتب الظاهریة». ثم انقلب هذا الدیوان بأعضائه الثمانیة و رئیسه إلی «مجمع علمی» فی ۸ حزیران سنة ۱۹۱۹، و أخذ علی نفسه النظر فی إصلاح اللغة، و وضع ألفاظ للمستحدثات العصریة، و تنقیح الکتب، و إحیاء المهم مما خلف الأسلاف، و التنشیط علی التألیف و التعریف.

www.SID.ir

www.SID.ir

و كان لابد للأساتذة، اللجوء إلى تعريب محاضراتهم، و لقوا الكثير من العناء، ولاسيما أساتذة كلية الطب حين كانوا يلجأون إلى تعريب المصطلحات العلمية. و أقبل الشباب ينهلون من معين هاتين الكليتين و أخذت العربية تزدهر فی هذه البيئة الجامعية، و كان لابد لاستكمال عناصر الجامعة بفروعها المختلفة من إنشاء كلية للآداب، و أخرى للعلوم، و كلية هندسة، و كلية تربية معهد المعلمين العالی و تم تأسيس هذه الكليات عام ۱۹۴۶، و بذلک تكوّنت «الجامعة السورية» تكويناً واسعاً و أصبحت بنية علمية ازدهرت العربية فی ربوعها ازدهاراً حسناً. (راجع المصدر نفسه:۱۷ـ۱۹)

وفی سنة ۱۹۱۹ دخلت قوات الاحتلال الفرنسية دمشق عاصمة سوريا واضطر الملک فيصل أن يغادر دمشق إلى فلسطين و منها إلى بريطانيا. (المصدر نفسه:۲۱)

وهكذا، قد انهار العهد الاستقلالی الأول، و بدأ عهد الانتداب الفرنسی الذی عانت منه البلاد مرارة الاحتلال وكان من جراء ذلک أن قامت الثورات فی جميع أنحاء البلاد. وكانت البلاد فی غليان شديد، و النفوس ثائرة و الهياج من تصرفات الفرنسيين بلغ أشده ولاسيما نفوس الكتّاب و الشعراء و رجال السياسة. (المصدر نفسه:۲۲)

وضاق الفرنسيون بهذه الثورات تنبثق من هنا و هناک و كانت حملاتهم العسكرية تنتقل من بقعة إلى بقعة، و من سهل إلى جبل و تكبد الفرنسيون من جراء هذه الثورات الكثير من الضحايا. (المصدر نفسه:۲۲)

و عمد الفرنسيون إلى تقطيع أوصال البلاد، و أقاموا عدة دويلات فی سوريا، فجعلوا من حلب دولة، و من دمشق دولة، و من جبال العلويين دولة، و من جبل الدروز دولة، و من لواء الإسكندرونة دوقية فرنسية. (المصدر نفسه:۲۲)

وأقيمت المحاكم العسكرية تحكم على كل من اتهم بوطنيته أو بتحريض الناس على الإنتداب فحكمت على الكثيرين بالسجن و بالنفی و بالإعدام وظنوا أن سياسة العنف هذه ستخضع السوريين و توطّد أركان حكمهم و خاب ظنهم. (المصدر نفسه:۲۲-۲۳)

هذه هی حقيقة بارزة أن هذه الثورات التی نشبت قد أهاجت النفوس و أثارت قرائح الشعراء و هزّت ضمائر الكتاب و الصحفيين.فالشعراء قد عبّروا عن أحاسيسهم و

www.SID.ir

www.SID.ir

أحاسيس قومهم بقصائد تختلف فی مضمونها و طريقة تعبيرها، منهم من لجأ إلی الرمز خشية بطش الغاصبين، و منهم من ألمع و أبان عن قصده بوضوح و لكنه لم يستطع نشر شعره فی الصحف الخاضعة لسيف الرقابة المصلت فتناقلته الألسن و وعته الصدور. (راجع المصدر نفسه: ۲۴)

و كانت الصحافة أداة صادقة للتعبير عن هيجان النفوس و رسم هذه الخلجات التی تجول فی ضمير الأمة، بل لعبت أكبر دور فی تقويض سلطان الأجنبی، فكانت بحق صوت الوطن المدوّی و لسانه المعبّر و كانت المقالات الافتتاحية برغم سيف الرقابة المسلط، شواظاً من نار، كانت لاترسم سياسة الوطن الذی ينشد حريته و سيادته فحسب بل كانت بإلهابها النفوس و بأسلوبها النارى تقضّ مضاجع المحتلين متحملة فی سبيل مبدئها الكثير من الأهوال و كثيراً ما لقی الصحفيون العنف و الإرهاق و النفی و الاضطهاد. و كثيراً ما حوربوا فی أرزاقهم و معاشهم و شردوا عن أسرهم و وطنهم، فلم يثنهم كل ذلک عن أداء حق الوطن، فصمدوا للأعاصير، و قارعوا الأحداث، و كافحوا بإباء و صبر و شمم. (المصدر نفسه: ۲۸ـ۲۹)

و كان لهذه الأحداث أثرها فی لغتهم و فی أسلوبهم و كان ذلک مدعاة لتطور لغة الصحافة التی كانت أداة اتصال مباشر بالجمهور و لعبت دورها الخطير فی ثقافته. (المصدر نفسه: ۲۹)

فتاريخ الصحافة الأدبية يبدأ فی سوريا بصدور مجلة «المقتبس» سنة ۱۹۰۶ لمحمد كردعلی، فهی أول مجلة صدرت فی دمشق لتعنی بحركات الفكر ثم تحولت إلی جريدة سياسية، ثم صدرت مجلة «المجمع العلمی العربی» وقد جعلها الأستاذ محمد كردعلی، كما ألمعت، سجلاً صادقاً لمباحث الأكاديميين فی اللغة و ما يمتّ بصلة إلی ترقية اللغة العربية، و صدرت أيام الانتداب الفرنسی مجلة «الرابطة الأدبية» و كانت ذات نزعة حرة، جعلت الأدب وسيلتها لرسم الخوالج القومية، و هی لسان حال جمعية «الرابطة الأدبية» التی ضمت الأدباء و الشعراء ليتباحثوا فی شؤون الأدب بعد غفوته الطويلة، و فی سنة ۱۹۲۳ صدرت مجلة «الميزان» وهی مجلة أسبوعية أنشأها أحمد شاكر الكرمی، و

www.SID.ir

www.SID.ir

كانت صحيفة تعنى بالنقد و الأدب، التفّ حول محررها طائفة من الشباب المجددين الذين أخذوا على عاتقهم مجاراة التيارات الفكرية الحديثة، و تحطيم أصنام الأدب. (راجع المصدر نفسه:٣٠ـ٣١)

لسنا نريد أن نسرد أسماء الصحف الأدبية التى ظهرت فى سوريا، بل أردنا الإلماع إلى بدء نهضتها الفكرية. فكانت الصحافة الأدبية من العوامل التى مهدت للمواهب الأدبية أن تلتمع.

فالمدرسة و الصحافة والمجمع العلمى العربى و الجامعة السورية بمختلف كلياتها؛ إن كل ما صدر عن هذه البيئات الفكرية و ما تفاعل فى أجوائها هو الذى مهد للحياة الأدبية أن تسير سيرها الوئيد و أن تنمو و تزدهر مع الأيام. و قد تطور الأدب مع تطور الحياة الفكرية، و كان للأحداث السياسية أثرها فى هذا التطور. (المصدر نفسه:٣١ـ٣٢)

ظروف نشأة القصة فى سوريا

منذ أوائل الثلاثينات أخذت تظهر فى المجتمع العربى فى سوريا بوادر البدء بالتغير على مختلف مستويات الحياة ولا سيما على صعيدى التعليم و الحياة السياسية. والتغير هنا يعنى الانصراف عن الأطر و الأساليب التقليدية إلى الأطر و الأساليب العصرية كما طرحتها الحضارة الأروبية المعاصرة. و كان التطلع شديداً نحو الاستقلال و بناء الدولة العصرية على النمط الأوربى، كما أن الإقبال على التعليم بدا قوياً و توجهت أعداد من الطلبة إلى أوربا للاستزادة من العلم، و بدأ المجتمع يظهر استعداداً نحو تقبل العلم الحديث و مناهجه، و ظهرت بعض الترجمات عن اللغات الأوربية، و كان القطر قد بدأ يستعيد وحدته بعد أن عملت السياسة الاستعمارية الفرنسية على تفتيته إلى دويلات، كما أن بوادر الحكم الوطنى سنة ١٩٣٧ مهدت السبيل ولو نسبياً أمام انطلاقة التغيّر. (راجع مصطفى، ١٩٥٨م: ٢٢٠ـ٢٢١)

و كان ظهور قصة «نهم» لشكيب الجابرى، و مجموعتى «ربيع و خريف» لعلى خلقى و

www.SID.ir

www.SID.ir

«فی قصور دمشق» محمد النجار، فی مستهل هذه المرحلة[1]، دليلاً على أن الأدب أيضاً يتهيأ لانطلاقة التغير. (الخطيب، ۱۹۹۸م: ۸)

ولم يقدر لهذه الانطلاقة أن تستمر طويلاً فسرعان ما وضعت بداءة الحرب العالمية الثانية نهاية غير سعيدة للحركة الأدبية الغضة فی سوريا. وفی سنة ۱۹۴۱ مثلاً حركة النشر توقفت، ومعظم الصحف باتت تصدر بصفحات صغيرة لاتزيد عن اثنتين. (المصدر نفسه: ۱۱)

و فی هذا الجو، جو الحديد و النار، كان معظم أدباء دمشق قد حطموا أقلامهم ومكثوا ينتظرون إحدى النهايتين: نهاية الحرب أو نهايتهم مع العالم و إن عدداً من الكتاب لم توقفهم نار الحرب عن الإنتاج. (المصدر نفسه: ۱۱)

وعلى الرغم من صعوبات مرحلة الحرب كان طموح الشباب العربی السوری يرفض التوقف، وقد أقدم العطری فی نهاية عام ۱۹۴۱ على إصدار مجلة أدبية ذات أهمية كبرى بالنسبة لتطوير القصة السورية فی المرحلة الأولى وهی مجلة «الصباح» ومن كتابها الأعلام فی مصر و سوريا، محمود تيمور، وزكی مبارک، و شفيق جبری، وفؤاد الشايب، وبديع حقی و غيرهم. (راجع المصدر نفسه: ۱۱ـ۱۲)

تحتل «الصباح» أهمية خاصة جداً من ناحية إسهامها فی إشاعة أدب القصة و إيصاله إلى القراء، حتى إنها استطاعت أن تجری مسابقة للقصة تعبيراً عن اهتمامها بهذا الفن. (المصدر نفسه: ۱۲)

وفی سنة ۱۹۴۹ ظهرت مجلة «النقاد» التی لعبت دوراً مهماً جداً فی مرحلة الخمسينات، ولاسيما لانتعاش القصة القصيرة ونقدها. (المصدر نفسه: ۱۴)

وهكذا يمكن القول إن القصة ولدت فی فترة مابين الحربين (المصدر نفسه: ۲۳۶) و إذا رغبنا فی مزيد من التحديد يمكن أن نذكر أوائل عقد الثلاثينات زمناً لهذه الولادة التی تشمل القصتين القصيرة و الطويلة أو ما تطور فيما بعد إلى فن الرواية. (المصدر نفسه: ۱۴)

۱. ذكر جعفر الخليلی فی كتابه «القصة العراقية قديماً و حديثاً» فی الصفحة ۱۳۸ بأن الأستاذ شاكر مصطفى يعتقد أن «فرنسيس مراش» الشاب الحلبی، قد كتب قصة «غابة الحق» ـ و هی قصة تعبر عن الأفكار الاصلاحية ـ كان أول قصصی عربی و أن قصته كانت أول قصة عربية فی العصر الحديث.)

www.SID.ir

www.SID.ir

نشأة القصة السورية

إن أدب القصة بمفهومها الحديث، مستحدث فی اللغة العربية كلها. و أن الكثيرين يرجعون أصوله إلى بعض ما فی القرآن الكريم من القصص و ما تناقله العرب، و إلى المقامات، و واقع الأمر هو أن فن القصة بمفهومه الحديث هو ذاک الذی بدأ فی القرن الثامن عشر فی اوربا، وأوجد للقصة عناصر ومقومات تتميز بها عن سائر فنون الأدب النثرية. (راجع القصة فی سوريا و فی العالم،لاتا : ٨)

وقد بدأ هذا المفهوم الحديث يدخل الادب العربی منذالنصف الثانی من القرن الماضی، عندما بدأ احتكاک العرب بالغرب احتكاكاً مباشراً. فقد تبعت هذا الاحتكاک حركة ترجمة واسعة، ماتنفک متعاظمة إلى يومنا هذا. ومن خلال الآثار المترجمة انبثق المفهوم الجديد للقصة العربية الحديثة. (راجع المصدر نفسه: ٨)

و يبقى من الضرورى التاكيد أن الثلاثينات شهدت سلسلة من التطورات الصناعية و التجارية نجم عنها بدء تبلور طبقة برجوازية جديدة فی المدن السورية الكبرى مثل دمشق و حلب و حمص، وما إن أتت نهاية الثلاثينات حتى كانت هذه الطبقة قد بدأت تتوالى مقاليد الحكم إلى جانب الزعامات الإقطاعية التقليدية و تضع أسس الحياة السياسية للمرحلة المقبلة، ومن الناحية الاجتماعية أخذت هذه الطبقة تتطلع إلى تقاليد أساليب الحياة البرجوازية ونظمها فی المجتمع الاوربی، ومع حلول علاقات العمل الجديدة ظهرت علاقات و قيم اجتماعية متطورة، وانقسمت الاسرة التقليدية إلى وحدات أصغر و أكثر استقلالا، وظهر اتجاه إلى تنظيم اوقات العمل، و تخصيص أوقات أكثر للتسليات الحضرية، وأن نشوء هذه الطبقة الاجتماعية خلق فرصة طيبة لاقتباس الأنواع الأدبية الجديدة، وفی مقدمتها فن القصة. (الخطيب ،١٩٩١م : ٣٤)

والغريب أن هذه السنة ١٩٣٧ لاتقل فی أهميتها الادبية عن أهميتها التاريخية. واذا كان للظواهر الأدبية أن تحدد أعمارها بالسنوات فان سنة ١٩٣٧ هی المرشحة لتكون نقطة الانطلاق للبحث فی القصة السورية الحديثة. فقد شهدت هذه السنة نشر رواية «نهم» للدكتور شكيب الجابری، وهی أول رواية فنية تظهر فی سوريا كما شهدت ظهور

www.SID.ir

www.SID.ir

المجموعة القصصية «فی قصور دمشق» لمحمد النجار، وهی الأولی من نوعها فی مجال كتابة القصة القصيرة، وتنبع أهمية العملين كليهما من توفيرهما للحد الادنی لشروط الفن القصصی ولا سيما من حيث التركيز علی الموضوع المطروح للمعالجة، وتوجيه العمل الفنی لاداء المغزی المنشود، والقاء الاضواء النفسية علی الاشخاص فی محاولة مبدئية و انتقاء الموضوع من ثناياها. (المصدر نفسه:۳۴-۳۵)

سمات القصّ الفنیّ (۱۹۳۱ـ۱۹۴۷)

ظروف المرحلة

كانت بلاد سورية تمر بمجموعة من الظروف الخاصة منذ بداية الاحتلال الفرنسی ۱۹۲۰، و ما إن انقشعت الصدمة، صدمة الثقة بالغربی، حتی أدرک الناس ضرورة التعامل مع واقع جديد فرض عليهم، ليس بصفته واقعاً لا حيد عنه، بل لأن التعامل معه و فهمه ضرورة لتجاوزه و التخلص من تركاته. (جاسم الحسين،۲۰۰۱م: ۷۶)

و كان لابد من مقاومة خطط الدولة المستعمرة التی سعت إلی تجزیء البلاد و تقسيمها ليسهل التحكم بها، وفک لحمتها الوطنية، بعد أن نجحت إلی حد ما فی عزلها عن محيطها العربی. و لم تقف الأمور عند ذلک بل سعت لفرنسة البلاد عبر التعليم و النقود و اللغة و العادات و التقاليد (راجع مصطفی، ۱۹۵۸م: ۲۱۶ـ۲۱۷) و تقديم الآخر الغربی علی أنه القدوة و المثل المحتذی. و جاهدت فی سبيل زرع بذور الطائفية بأساليب عديدة. (جاسم الحسين،۲۰۰۱م: ۷۶)

إلا أن ما سبق لم يجد مع الشعب العربی السوری الذی أشعل الثورة تلو الثورة فی مختلف أصقاع البلاد، و كان أن عُلِّقت أعواد المشانق، و قتل الشيوخ و الأطفال و النساء، و لم يلن الشعب و لم يستسلم و أبدی مقاومة متميزة، فحاولت آنئذ فرنسا امتصاص نقمته عبر منحه ثلة من التنازلات الظاهرية من مثل وضع الدستور ۱۹۲۸ و إعلان الجمهورية العربية السورية ۱۹۳۱ و توقيع المعاهدة ۱۹۳۶، لكنها دست السم و كشرت

www.SID.ir

www.SID.ir

عن أنيابها بوضوح عبر سلخ لواء الاسكندرون من غرب الوطن. غير أنها وجدت أخيراً أن منح البلاد استقلالها مخرج لا بد منه و هذا ما كان. (المصدر نفسه: ۷۶)

و كانت كثير من هذه التغيرات تجد أصداء لها فی بنی المجتمع ونسجه، هذا المجتمع الذی تجاذبته تحولات عديدة، و كان يسائل نفسه موازناً بين التجربتين العثمانية و الفرنسية. و لعل تساؤلات عدد من الأمور الفكرية و الاجتماعية، إذ كما هو معروف فقد اتكأت فرنسة و من قبلها العثمانيون على عدد كبير من الملاكين الإقطاعيين و أبناء العائلات و بعض شيوخ العشائر، وثلة من رجال الدين، فی الوقت الذی صار بإمكان المرء أن يجد مجموعة من صغار الكسبة و الملاک الصغار و المتنورين. (المصدر نفسه: ۷۶-۷۷)

إن جملة العوامل الخارجية و الداخلية قد خلقت عدداً من القضايا الاجتماعية و التحررية و الدينية فی حركة المجتمع، وكانت حدة التناقضات فرصة لإحداث فروقات اجتماعية واضحة بخاصة أن القضايا المطروحة لم تكن لتتحمل الحياد. فكان أن أعلنت ثنائية الحجاب و السفور نفسها و هی تخفی فی أثنائها نهجين فكريين كل منهما يحمل أدواته و يدافع عن رؤاه. (المصدر نفسه: ۷۷)

و فی الوقت نفسه كانت الحركة التعليمية الأهلية تنشط، و المدارس تزداد على الرغم من عدم حرص فرنسا على ذلک. بل الامر تجاوز ذلک إلى إنشاء مجموعه من الحركات الادبيه آنئذ، وراح الكثير من المتنورين يعدون العده لتأسيس الأحزاب ويجاهرون بضرورة التخلص من الأمية بوصفه مدخلاً آمنا لطريق الحرية. و انعكست هذه التجاذبات على آليات علائق اجتماعية عديدة وصلت إلى حد ما يخص الزواج و الأسرة. (المصدر نفسه: ۷۷)

أما من الوجهة الاقتصادية فقد حاولت فرنسا أن تجعل سوريا مزرعة تورد المواد الأولية للصناعات الفرنسية، وسعت إلى ربط اقتصاد البلاد باقتصادها خلال توحيد القيمة بين العملة الفرنسية و السورية الأمر الذی جعل العملة السورية انعكاساً لأزمات الفرنک الفرنسی آنئذ الذی عانی من تحولات عالمية فی حين أن الفائدة كانت وحيدة

www.SID.ir

www.SID.ir

الجانب. وأتيح لفرنسا تطويع جماعة الملاک لمصلحتها فقد کانوا خدماً لفرنسا من أجل مصالحهم، و ازدادوا ظلماً علی ظلم، وراحوا ينکلون بالشعب. (راجع الخطيب،۱۹۹۱م: ۱۸ـ۲۰؛ جاسم الحسين،۲۰۰۱م: ۷۸)

ورافقت ما سبق أتاوات و ضرائب و عقوبات کانت تفرض علی المواطن بحجج متنوعة، و فی ظروف مثل هذه الظروف لا بد أن يثری فريق علی حساب فريق آخر، و کانت الأغلبية تزداد فقراً فی ظل أزمات اقتصادية مريرة رافقها تأثر بالنظام الاشتراکی الذی بات يعلن عن نفسه مستفيداً من بدء تشکل برجوازية صغيرة أبدت تعاطفها مع الطبقات الشعبية الصغيرة حيث راحت تجهز نفسها لأخذ دور ما بُعيد الاستقلال. (جاسم الحسين،۲۰۰۱م: ۷۸)

و کل ذلک فعلّ الذوق الأدبی و فتح الميدان واسعاً للتحول نحو الفنية و التعددية و النـزوع نحو العصرنة و التحرر. (المصدر نفسه: ۷۹)

وراح الأدب يأخذ دوره المطلوب إذ بدأ يواکب الوعی الفکری و يتواشج مع الحرکات الفکرية و الأدبية، و أسهمت ظروف عديدة فی نمو هذا التيار أو ذالک، بخاصة بعد خيبة الأمل المريرة بوعود الانتداب. (راجع مصطفی، ۱۹۵۸م: ۲۲۱ـ۲۲۳؛ جاسم الحسين،۲۰۰۱م: ۷۹)

ها هنا لا بد من إيضاح نقطة مهمة تتعلق بمفهوم الأدب و فاعليته و دوره فی ظل ظروف مثل هذه الظروف، فالناس يومذاک کانوا معتادين علی نمط معين من الأدب، محوره الرئيسی الشعر، لذا فليس من السهولة بمکان أن يتقبلوا فن القصة قبولاً حسناً منذ البداية، خاصة أن القص راح يجرؤ علی الدخول فی موضوعات ما کان معتاداً تناولها فی عالم الأدب لأسباب کثيرة. (جاسم الحسين،۲۰۰۱م: ۷۹)

من أجل ذلک فقد فهم کثيرون القصة علی أنها التعبير عن أحداث منصرمة و بعث للماضی من الأحداث، فی حين وجد عديدون فيها فرصة سانحة لقول اَفکارهم ورؤاهم التی يؤمنون بها. (المصدر نفسه: ۷۹)

www.SID.ir

www.SID.ir

أحوال القصة و همومها

نشر فی هذه الفترة (۱۹۳۱ـ۱۹۴۷) اثنتا عشرة مجموعة قصصية.و كانت أمام الكتاب آنئذ مهام عديدة تتصل بضرورة ترسيخ جذور الفن القصصی إذ أدرک معظمهم أن مفهوم القصة القصيرة غربی الجذور، و علی الرغم من بدء نشاط الترجمات من الأدب الفرنسی و الروسی، وبدء انتشارها سواء أكانت ترجماتها فی سوريا أم لبنان أم مصر، إلا أن الأدباء كانت تتناوشهم ناران، نارالصدمة مع الآخر و ضرورة الاستفادة مما تقدمه ثقافته، و نار كونه محتلاً لأرضهم. (المصدر نفسه: ۸۱)

و سعی الكتاب سعياً حثيثاً لإعادة النظر بمفهوم فن القص و دوره، و قد اندرجت أشكال القص آنئذ فی مظاهر عديدة، فكان بعضها بصورة نفحات رومانسية عاطفية، شكلت النسيج الأبرز لعدد من القصص، و لم تبتعد عنها النماذج التی دعيت بالقصة الصورة التی تعتمد فيض المشاعر و التأمل، و ظهر نمط آخر اتخذ من الهم التاريخی و الدينی موضوعة رئيسية له، إذ اكتشف أن فی خصائص هذا الفن ما يجعله أهلاً للحديث عن بعض آراء الماضی و أفكاره. (المصدر نفسه: ۸۲)

إن الهم الاجتماعی كان من أبرز الهموم التی شغلت القاصين، و تجلی ذلک عبر نقد ما يقوم به الناس و بعض العادات و التقاليد، و كان الديدن الرئيسی لهذا الهم الإشارة إلی الآثار الاجتماعية المأساوية علی العلائق بين الناس. (المصدر نفسه: ۸۳)

مثلما انصرف عديدون نحو معالجة الهموم الذاتية ذات البعد الإنسانی التی تتعلق بمدی مقدرة الذات علی الانسجام مع المجتمع، و ما تكابده هذه الذات نتيجة بعض العادات و التقاليد. وراح قاصون يتحدثون عن هموم تاريخية، فيما انشغل بعضهم بالصدمة مع الغرب و تأكيد الفروقات، و كذلک تأكيد ضرورة الاحتكاک. (المصدر نفسه: ص ۸۳)

و بغض النظر عن كل ما يمكن قوله عن القصة و موضوعاتها و مقولاتها و إشكالياتها يومذاک لابد من تأكيد أن القصص آنذاک هی بنت ظروفها، و عصرها، و بنت محاولة ترسيخ الفن و تجذيره، و بنت الانشغال بهموم المجتمع و الذات و بدايات التلامح و التكون، لكن مما لا شک فيه، و هو ما يلحظ أول وهلة، أن الضعف الفنی خيّم علی

www.SID.ir

www.SID.ir

مجمل القصص، إضافة إلى عدم وضوح الرؤية، و ارتباک مفهوم القص و دوره فی جلها. (المصدر نفسه: ۸۳)

تجارب و مجموعات

ربما يبدو مفيداً أن نتوقف عند بعض القاصين من أجل توضيح مفردات لوحة البذور الفنية أكثر، فعلى خلقى صاحب أول مجموعة مثلاً، مزج حياته بقصته، و هو الذى عاش حياة حافلة بألوان العذاب و المعاناة[1] و كان قد اطلع على نماذج تراثية و غربية. لقد توقف عند بعض المشاكل الإجتماعية معبراً عنها بكثير من الصراحة. (المصدر نفسه: ۸۴)

و قد عدد بعض الدارسين ميزات قصص على خلقى من مثل الاهتمام بالجانب الفنى، و التركيز على الأزمات النفسية و سهولة اللغة و محاولة الاستفادة من التركيب التخييلى، على أن المرء معنى بتأكيد رهافة حس على خلقى و انفعاليته فى التعبير أحياناً. (المصدر نفسه: ۸۴)

و قد عنون خلقى قصصه بعنوانات تشير إلى مضموناتها غالباً (العم طنوس ـ مونولوج منثور ـ فتاة الحانات ـ على طريق زحلة ـ مذكرات ممثل يائس). (المصدر نفسه: ۸۴ـ۸۵)

إن تجربة على خلقى تشكل مفصلاً مهماً فى طور الانتقال من القصة ذات البعد الرومانسى إلى القصة الطامحة فى الدخول فى خضم مشاكل الواقع بحيث تعد مجموعته ربيع و خريف أول مجموعة تحمل بذور القصّ الفنى و تعلن عن نهاية مرحلة و بداية مرحلة لها علاقة بفن القصة القصيرة. (المصدر نفسه: ۸۶)

أما القاصّ محمد النجار فقد كان يؤكد فى بداية كل قصة من قصصه أنها مستمدة من الواقع الأمر الذى كاد يوصلها إلى مستوى المادة الصحفية التى تحاول نقل واقعة ما، و تأكيده هذه النقطة يشير إلى مفهوم القصة آنئذ و حرصها على الانتماء للواقع أكثر من

۱. عاش على خلقى حياة ذات خصوصية فى المعاناة، ولمعرفة تفصيلات وافية يمكن العودة إلى محاضرات عن القصة فى سورية للدكتور شاكر مصطفى ص ۲۷۴ و ما بعدها.

www.SID.ir

www.SID.ir

انتمائها للتخييل. (المصدر نفسه: ۸۶)

و معروف أن قصص النجار كانت لا تخلو من جرأة وحدة فی طرح القضايا الساخنة، متحدثاً عن عديد من الجوانب الأخلاقية، و قد وُوجِهَ كتابه «فی قصور دمشق» بهجوم حاد، نتيجة موضوعات قصصه التی من عناوينها واضحة. (المصدر نفسه: ۸۶)

والحق أن قصص النجار هی حكايات أكثر منها قصصاً، ربما كتبت لتُسمع، و تلقی شفوياً فهو يقدم شروحات مفصلة عن البيئة و الزمان و المكان. و قد شغلته علاقات الرجل بالمرأة، و الأغنياء بالفقراء، و الأمهات بالأبناء، و الآباء بالأجداد. (المصدر نفسه: ۸۶)

و قد حاول إعطاء قصصه أبعاداً شعبية عبر الأمثال و الكلمات العامية. و شكل هذا محاولة كسر للأسلوب السائد آنئذ. (المصدر نفسه: ۸۶)

و من القاصين الذين نشروا قصصاً منفردة آنئذ القاص مظفر سلطان الذی تتكی معظم قصصه[1] علی حكاياتها المعتمدة علی عناصر شفاهية عديدة، تخص التشويق و الأسلوب الحكائی الشفهی و التوجه مباشرة للمتلقی، و تأكيد واقعية الأحداث، و أنها حدثت فعلاً، ويحاول سلطان الابتعاد عن التخييل الذی يبدو ضعيفاً فی أنحاء قصصه، ويحرص بصورة ما علی انتماء الأحداث للواقع، ربما أكثر من انتمائها إلی القصّ الفنی، و بناء علی مجمل المعطيات السابقة فإن مظفر سلطان يختار لغة جزلة لتقديم قصته، تتمثل جزالتها عبر آلية تركيب الجملة، إضافة إلی اختياره الألفاظ. (المصدر نفسه: ۸۷)

و لا يبتعد مظفر سلطان فی قصصه التی نشرت لاحقاً عن جملة سمات عرفت بها قصته و لا يحاول التطوير، و هی تتمثل بشیء من الإسهاب و الاستطراد الذی يُقبل شفهياً، و شیء من الشرح، إضافة إلی الكثير من الخطابية الملائمة للشفاهية، و المباشرة فی القصد دون الاستفادة من الإمكانيات الإيحائية للغة. و مثل هذا النمط يتكیء غالباً

۱. كتب مظفر سلطان و نشر قصصه فی صحف الثلاثينات، لكنه لم ينشر مجموعته الأولی ضمير الذئب إلا فی عام ۱۹۶۰ و نحن ها هنا نتوقف عند القصص التی نشرت فی الثلاثينات والأربعينات إلی عام ۱۹۴۷ فی الدوريات، و أشار إليها الدكتور شاكر مصطفی فی كتابه محاضرات عن القصة فی سورية ص ۳۸۰ و مابعدها.

www.SID.ir

www.SID.ir

علی مقولته و مضمونه، و إن جیء بإدهاش فإنه یُسقَط إسقاطاً. (المصدر نفسه: ۸۷ـ۸۸)

لقد انشغل القاص دیرانی بالقضایا الاجتماعیة، و حاول التعبیر عنها بکل ما أوتی من مقدرة و بدا فی بعض قصصه بعد رومانسی حاول من خلاله معالجة ما یعتور الإنسان من مشاکل، بخاصة أنه انشغل بهموم الإنسان المسحوق، و قد بدا أن تجربة لیان دیرانی قد تطورت لاحقاً إلا أن عدداً من سماتها الأولی بقی مرافقاً لها، و لایمکن لمتابع إلا أن یشیر إلی دوره فی التعبیر عن الهموم التی کانت تشغل بال الإنسان آنئذ، لا سیما قضایا المرأة و العامل و بعض العادات الاجتماعیة. (المصدر نفسه: ۸۹)

إن معظم قصص لیان دیرانی تبدو أشبه بالبیانات الاجتماعیة المزنرة بالشرح المسهب عن أحوال شخوص و ظروفهم الاجتماعیة، و قد کان یجذبه حس إنسانی ذو بعد رومانسی شفیف، غالباً ما تکون تبعاته وخیمة علی بناء القصة الفنی. (المصدر نفسه: ۸۹)

أما القاص الآخر الذی نشر قصصاً متفرقة آنئذ لکنه لم یجمعها فی مجموعة نهائیاً فهو میشیل عفلق، الذی یبدو أنه من القاصین الذین کان یمکن أن یکون له شأن عظیم لو تابع کتابة القصة القصیرة، بخاصة أن قصصه المنشورة آنئذ تشیر إلی موهبة متمیزة، و قد وصفه الدکتور شاکر مصطفی أنه «السمفونیة التی لم تتم فی الأدب العربی الحدیث.» (مصطفی، ۱۹۵۸م :۱۰۳؛ جاسم الحسین،۲۰۰۱م: ۸۹)

ویبدو لقارئ قصص میشیل عفلق علی قلتها أنه یجید البناء الفنی إجادة عالیة و یتماسک بناء القصة فی عناصره الأساسیة و الجزئیة (الهیکل العام و اللقطات الجانبیة)، ویشد بعضه بعضاً لیشکل وحدة عضویة منسجمة متوافقة، کل عضو فیها له دوره و له أهمیته، ویتوجه الجمیع نحو خلق الأثر الموحد المرکز و الکلی الذی أراد عفلق أن یترکه لدی القارئ. (جاسم الحسین،۲۰۰۱م: ۸۹ـ۹۰)

و هناک نمط من القص شکل حضوراً یومذاک هو القص التاریخی الذی حاول أن یحقق وظیفة خاصة، و هذه القصص عرفت بالاهتمام بالحادثة التاریخیة و تأکید المقولة و خفوت فی التخییل عبر لغة مفصحة. (المصدر نفسه: ۹۰ـ۹۱)

و هذا بدا واضحاً فی ما کتبه علی الطنطاوی الذی سیطرت علی کتاباته الروح

www.SID.ir

www.SID.ir

التاريخية التمجيدية إن العقلية التاريخية هی التی تحكم حروفه و صوره و هو يكتفی من كل عصور التاريخ بالتاريخ الإسلامی، محاولاً التحليل، والتأكيد على الحوار الذاتی و بعض النواحی التشويقية التی يضعفها الصراخ و المباشرة. (المصدر نفسه: ۹۱)

و لا بد من الوقوف عند مجموعة «تاريخ جرح» لفواد الشايب التی عدها بعض الدارسين صالحة لتكون البداية الفنية الواضحة المعالم للقصة السورية، و تحتوی مجموعة من القصص المتنوعة المواضيع، و مما يلحظ فی تجربة الشايب حرص على التأنق فی اللغة، و الأسلوب، و الحديث عن بعض الخبرات الشخصية فی الأمور النفسية، و يلحظ أيضا أن الشايب حرص على توضيح مفهومه لفن القصة القصيرة و خصوصيتها، و قد كانت رؤيته مؤثرة إلى حد جعلت الدارسين يعلنون أن شهرته تعود إلى رؤاه الفنية و أشياء أخرى. (المصدر نفسه: ۹۱)

و قد تناوشت قصص الشايب ثلة من الهموم ذات الأبعاد الوطنية و الاجتماعية و الذاتية و التی تواشجت فی مواضع عديدة، و قد جمع الشايب فی قصصه ثقافته الغربية و جذوره العربية، و عبّر عن هموم اللقاء بين الشرق و الغرب، و بعض المسائل النفسية والفلسفية إذ يعلو صوت المؤلف فی مواضع عديدة، على أصوات الشخوص، و يظهر اهتماماً بالتفاصيل ليس من الضرورى أن يخدم عموم بناء القص الذی يبدو مسترسلاً فی مواضع عديدة مضفياً شيئاً من ملامح السخرية على بعض هذه التفاصيل التی يسعى من خلالها لتقديم البيئة و الجو العام لأحداث قصته. (المصدر نفسه: ۹۲)

إن تجربة فؤاد الشايب تشكل لبنة أخرى مهمة فی بناء البذور الفنية المتميزة فی تاريخ القصة القصيرة السورية، و مهما قيل فيها فإن المرء لايمكن أن يتجاوزها دون أن نقع فی الوجهة المعاكسة المتمثلة بوصفها أنها خارج زمانها. (المصدر نفسه: ۹۲ـ۹۳)

سمات المرحلة

إن التجارب التی أعلنت عن نفسها فی هذه السنوات القليلات لها دورها الذی لا ينكر فی ما جاء بعدها، و ما كان لما جاء بعدها أن يكون فی صورته التی ظهر فيها

www.SID.ir

www.SID.ir

لولا هذه البذور، و هذا معروف جيداً فی تاريخ الفنون و الآداب و تشكلاتها التی لا تنشأ دفعة واحدة، بل عبر مراحل متتالية ضرورية و لا غنی عنها لتطور الفن. (المصدر نفسه: ۳۹)

و ربما صار من الضروری الآن محاولة تحديد بعض الخصائص العامة التی وسمت الكثير مما قدم يومئذ من قصص يمكن إجمالها فيما يلی:

لم تتخلص قصص كثيرة من الآثار السلبية الأدبية، لأن عدداً منها يكاد يختلط بالخاطرة، و قسماً آخر ربما يتشابه و المقالة، مع ملاحظة الأثر اللغوی البارز من حيث الحرص على اللغة الجزلة فی بعض المواضع، و محاولة بعضهم استعمال لغة مبسطة تستفيد كثيراً من الألفاظ العامية، مع بدء التنبه لإمكانية استعمال لغة فصيحة مبسطة، و يلحظ أن شيئاً من بذور السخرية يمكن أن يراها المرء بخاصة فی القصص التی أخذت طابعاً اجتماعياً، هذا الطابع الذی تجلی فی عدد عظيم من القصص إذ شكل نقطة مهمة فی الموقف من الواقع و عاداته و تقاليده حاملاً اصطدام الفرد و طموحاته بمعطيات المجتمع و متطلباته، و إن قاد ذلک فی أحيان كثيرة إلی بعض الوعظية و التعليمية التی داعبت هذه القصة أو تلک و هذا يبدو مقبولا فی البدايات إلی حد ما. (المصدر نفسه: ۹۴)

إن النظر إلی القصص بعين فنية محض دون مراعاة زمانها و كونها بذورا فنية لا يبدو منصفا لها، و يكفيها أنها شاركت بصورة أو بأخری فی ترسيخ جذور الفن. (المصدر نفسه: ۹۴)

قد تابع عدد من القاصين إنتاج القصة إلی عقد التسعينات (أديب نحوی مثلاً) فيما توقف بعضهم (فؤاد الشايب)، وبدا أن بعضهم اكتفی بدوره الريادی هذا، فيما نجح (نحوی) مثلاً فی ترسيخ تجربته و تطويرها حتی رسا علی أسلوبية معينة عرفت تجربته بها، إضافة إلی انشغاله إلی حد كبير بالموضوع الوطنی و القومی. (المصدر نفسه: ۹۴)

إن النظرة الموضوعية تتطلب منا أن ننتبه للظروف التاريخية، فإصدار المجاميع القصصية لم يكن عادة قد ترسخت، إضافة إلی عدم وضوح مفهوم القصة و دورها. و

www.SID.ir

www.SID.ir

أشياء أخرى كثيرة تتعلق ببذور الفن أى فن، ولئن قبل الدارس كثيراً من الأمور فى البدايات و مرحلة البذور الفنية فإنه بعد ذلک لن ينظر بالعين ذاتها، لأننا نطمح إلى تطور فى الفن، و لا نريد الثبات، لأن الثبات فى الفن غالباً ما يعنى التراجع! (المصدر نفسه: ۹۵)

النتيجة

هذا وأهم نتائج و خلاصة مما تقدم ذكره يمكننا القول أن القصة القصيرة عمل روائى نثرى يستدعى لقراءته المستأنية نصف ساعة حتى ساعتين.

إن أدب القصة بمفهومها الحديث، مستحدث فى اللغة العربية كلها. و أن الكثيرين يرجعون أصوله إلى بعض ما فى القرآن الكريم من القصص و ما تناقله العرب، و إلى المقامات، و واقع الأمر هو أن فن القصة القصيرة بمفهومه الحديث هو ذاک الذى بدأ فى القرن الثامن عشر فى اوربا، وأوجد للقصة عناصر ومقومات تتميز بها عن سائر فنون الأدب النثرية.

نشر فى هذه الفترة (۱۹۳۱ـ۱۹۴۷) اثنتا عشرة مجموعة قصصية. و كانت أمام الكتاب آنئذ مهام عديدة تتصل بضرورة ترسيخ جذور الفن القصصى إذ أدرک معظمهم أن مفهوم القصة القصيرة غربى الجذور.و قد تابع عدد من القاصين إنتاج القصة إلى عقد التسعينات فيما توقف بعضهم.

منذ أوائل الثلاثينات أخذت تظهر فى المجتمع العربى فى سورية بوادر البدء بالتغير على مختلف مستويات الحياة ولا سيما على صعيدى التعليم و الحياة السياسية. و كان التطلع شديداً نحو الاستقلال و بناء الدولة العصرية على النمط الأوربى، كما أن الإقبال على التعليم بدا قوياً و توجهت أعداد من الطلبة إلى أوربا للاستزادة من العلم، و بدأ المجتمع يظهر استعداداً نحو تقبل العلم الحديث و مناهجه، و ظهرت بعض الترجمات عن اللغات الأوربية، و كان القطر قد بدأ يستعيد وحدته بعد أن عملت السياسة الاستعمارية الفرنسية على تفتيته إلى دويلات.

www.SID.ir

www.SID.ir

فالمدرسة و الصحافة والمجمع العلمی العربی و الجامعة السورية بمختلف كلياتها وكل ما صدر عن هذه البيئات الفكرية وكثرة الاتصال بالغرب و بمدارسه و ترجمة روائع كبار الادباء، كل هذا هو الذی مهد للحياة الأدبية أن تسير سيرها و أن تنمو و تزدهر مع الأيام فی سوريا و قد تطور الأدب مع تطور الحياة الفكرية، و كان للأحداث السياسية كالإحتلال الفرنسی أثرها فی هذا التطور.

إن جملة العوامل الخارجية و الداخلية قد خلقت عدداً من القضايا الاجتماعية و التحررية و الدينية فی حركة المجتمع، و قد خلقت التغيرات فيه و فی نسجه فكل هذا أدی إلی إنشاء مجموعة من الحركات الادبية، و تأسيس الأحزاب و كان لجميع هذه العوامل أثرها فی تطور فكرة الأدب فتعددت منازعه و تطورت أساليبه.

إن الهم الاجتماعی كان من أبرز الهموم التی شغلت القاصين، و تجلی ذلک عبر نقد ما يقوم به الناس و بعض العادات و التقاليد. مثلما انصرف عديدون نحو معالجة الهموم الذاتية ذات البعد الإنسانی التی تتعلق بمدی مقدرة الذات علی الانسجام مع المجتمع، و ما تكابده هذه الذات نتيجة بعض العادات و التقاليد. وراح قاصون يتحدثون عن هموم تاريخية، فيما انشغل بعضهم بالصدمة مع الغرب و تأكيد الفروقات، و كذلک تأكيد ضرورة الاحتكاک.

و بغض النظر عن كل ما يمكن قوله عن القصة و موضوعاتها و مقولاتها و إشكالياتها يومذاک لابد من تأكيد أن القصص آنذاک هی بنت ظروفها، و عصرها، و بنت محاولة ترسيخ الفن و تجذيره، و بنت الانشغال بهموم المجتمع و الذات و بدايات التلامح و التكون، لكن مما لا شک فيه، و هو ما يلحظ أول وهلة، أن الضعف الفنی خيّم علی مجمل القصص، إضافة إلی عدم وضوح الرؤية، و ارتباک مفهوم القص و دوره فی جلها.

إن التجارب التی أعلنت عن نفسها فی هذه السنوات القليلات لها دورها الذی لا ينكر فی ما جاء بعدها. المرحلة التی مهدت الأوضاع لترسيخ جذور الفن و إصدار المجاميع القصصية لم يكن قد ترسخت إضافة إلی عدم وضوح القصة و دورها.

www.SID.ir

www.SID.ir

المصادر والمراجع

جاسم الحسين، أحمد.۲۰۰۱ م. *القصة القصيرة السورية و نقدها فی القرن العشرين*. لا ط. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

جواهرکلام، محمد. ۱۳۷۲ هـ.ش. *نگاهی به داستان معاصر عرب*. چاپ اول. تهران: چاپ دیبا.

الخطيب، حسام. ۱۹۹۱ م. *سبل المؤثرات الأجنبية و أشكالها فی القصة السوريّة*. الطبعة الخامسة. دمشق: مكتبة الأدب القصصی فی سورية.

الخطيب، حسام. ۱۹۹۸ م. *القصة القصيرة فی سورية (ريادات و نصوص مفصلية)*. طبعة أولی. دمشق: منشورات دارعلاءالدين للنشر و التوزيع و الترجمة.

الخليلی، جعفر. ۱۹۶۲م. *القصة العراقية، قديماً و حديثاً*. الطبعة الأولی. بيروت: مطبعة الإنصاف.

عبدالحميد، شاكر. ۲۰۰۱ م. *سيكولوجية الإبداع الفنی فی القصة القصيرة (العملية الإبداعية فی القصة القصيرة)*. لا ط. القاهرة: دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع.

عبدالمعطی، فاروق.۱۹۹۴ م. *يوسف إدريس بين القصة القصيرة و الإبداع الأدبی*. الطبعة الأولی. بيروت: دارالكتب العلمية.

الكيالی، سامی. لاتا. *تاريخ الأدب العربی المعاصر فی سورية ۱۸۵۰ـ۱۹۵۰*. الطبعة الثانية. القاهرة: دارالمعارف بمصر.

مجهول المؤلف. لاتا. *القصة فی سورية و فی العالم*. لا ط. دمشق: اعداد دارالفن الحديث العالمی، مطبعة الأيام.

مصطفی، شاكر. ۱۹۵۸ م. *محاضرات عن القصة فی سورية حتی نهاية الحرب العالمية الثانية*. لا ط. القاهرة: جامعة الدول العربية.

میرصادقی، جمال. ۱۳۶۶ هـ . ش. *ادبيات داستانی (قصه، داستان كوتاه، رمان)*. چاپ اول. تهران: انتشارات شفا.

النساج، سيد حامد. ۱۹۷۷ م. *القصة القصيرة*. لا ط. القاهرة: دارالمعارف.

www.SID.ir